فريق التفريغ بموقع الطريق إلى الله

يـــقـــدم

من سلسلة قصة رواها الرسول

حياء سيدنا موسى عليه السلام وتبرئة الله له

لفضيلة الشيخ: جمال المراكبي

رابط المادة: http://www.way2allah.com/khotab-item-27937.htm

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وليُّ الصالحين وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن سار على طريقته وانتهج نهجه إلى يوم الدين وعلى رسل الله أجمعين، ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونَّ من الخاسرين، اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

حديثنا معكم أحبتي في الله عن الذين آذَوْ موسى، عن أبي هريرة رضيَّ الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلم: " إن موسى كان رجلاً حييًا ستيرًا لا يُرَى من جلده شيء استحياءً منه، فآذاه مَن آذاه من بني إسرائيل فقالوا ما يستتر هذا التستر إلا مِن عيب بجلده إما بَرَصْ وإما أَدَرَة وإما آفة، وإن الله أراد أن يُبَرِّئَه مما قالوا فخلا يومًا وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها وإن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبي حجر، ثوبي حجر حتى انتهى إلى ملأ من بني إسرائيل، فَرَأَوْه عريانًا أحسن ما خلق الله، وأبرأه مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضربًا بعصاه فوالله إن بالحجر لندبًا من أثر ضربه ثلاثًا أو أربعًا أو خمسًا فذلك قوله " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا " الأحزاب:٦٩ صحيح البخاري

الحياء من خُلُق الأنبياء

أنبياء الله ورسله هم أكرم خلق الله على الله خلقهم الله تبارك وتعالى طاهرين مُبَرَّئين من كل عيب، نحن نؤمن بهم ونتولاهم ونحبهم ونتقرب إلى الله تبارك وتعالى بمحبتهم وطاعتهم والاقتداء بهم واتباع سبيلهم ونهجهم، إنهم دلونا على كل خير، إنهم سبيلنا وطريقنا إلى جنات النعيم.

ولكن بعض الناس يحلو له دائمًا أبدًا أن يطعن في عبيد الله، أن يطعن في خلق الله، إذا رأى إنسانًا لا عيب فيه اخترع له عيب واصطنع له عيبا، وقد كان كليم الرحمن موسى، رسول الله موسى الكليم الذي هو من أكثر الأنبياء تابعًا يوم القيامة كان رجلاً حييًا، يعني خلقه الحياء وهكذا كل أنبياء الله ورسله كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها، البنت التي لم تخرج ولم تعرف الخروج ولا اللف ولا الدوران تكون متصفة بالحياء كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها والحياء خُلُق الإيمان، خلق الإيمان الحياء.

والرسول صلَّى الله عليه وسلم مرَّ برجلٍ وهو يَعِظُ أخاه في الحياء كأنه يقول قد ضيَّع عليك الحياء بعض حقوقك فقال "دعه، فإن الحياء من الإيمان" صحيح البخاري

والحياء لا يأتي إلا بخير فالحياء من خُلُق النبيين وكان موسى كليم الرحمن حييًا ستيرًا يعني لا يتعرى أمام الناس هكذا المؤمن الحيي حينما نسمع إن هناك شواطئ للعراة، حينما نسمع عن القرى السياحية على الساحل الشمالي وعلى ساحل البحر الأحمر قرى يكاد يفشو فيها العُري نقول أين خلق الحياء وأين السِتر، الإسلام دين الحياء دين العفة دين السِتر خاصة فيما يتعلق بالعورات نحن نعلم أن عورة الرجل ما بين سُرَّته إلا ما تحت ركبته، لكن المرأة كلها عورة ومع هذا نرى النساء وقد كشفن عن شعورهن، وعن نحورهن، وعن صدورهن، وعن سوقهن، وعن أفخاذهن فنتساءل وأين الحياء! وأين الحياء! والله ربما ترى امرأة لا تؤمن بالله ولا برسول الله صلَّى الله عليه وسلم لكن عندها لون من ألوان الحياء لأنها عاشت في بيئة تشجع على الحياء.

وكان نبيَّ الله موسى حييًا ستيرًا يحب الستر، يستر جسده فلا يُظْهِرُ عورته أمام الناس، وكان بنو إسرائيل قد اعتادوا على عادة أنهم يغتسلون عُراة ويبدو أن الحكم الشرعيّ بالتستر لم يكن قد ظهر لهم بعد، لكن موسى لأنه مجبول على الحياء ما كان يغتسل معهم عاريًا، فإذا ببعض هؤلاء الجفاه يتساءلون لماذا لا يغتسل معنا موسى عاريًا كما نفعل؟ فقال بعضهم إن به عيب، ده راجل به عيب يريد أن يُخْفِي عيبه، فيه عيب خِلْقي، فقال بعضهم إنه أبرص والبَرَص مرض جلدي يظهر على الجلد الخارجي، وقال بعضهم لعل به أُدْرَة أو قالو لعله آدر والأُدْرَة انتفاخ في خصية الرجل وقالوا لعل به كذا أو كذا أو كذا، وموسى نبيّ الله ورسوله وكليمه لا يدري ماذا يقولون لكن الله عز وجل أراد أن يُبَرِّئَ ساحة نبيه وكليمه موسى، أراد أن يُظْهِرَ لهم آية..

تبرئة الله لنبيه موسى

ذهب موسى ليغتسل وكان إذا ذهب ليغتسل إما أن يدخل في مكان مغلق ولما كانوا في الصحراء في سيناء في التيه كان يذهب إلى بعض الصخرات فيختفي خلفها ويغتسل بحيث لا يراه الناس، فلما وصل إلى المكان الذي أراد أن يغتسل فيه، معه الماء وقد اختفى خلف الصخرات خلع ثوبه ووضعه على حجر كبير ووقف يغتسل حيث لا يراه أحد فإذا بالحجر يعدو! تصوروا معي هذه الصورة الحجر وهو جماد صخر صوَّان لا يتحرك ثابت، قَدَّرَ اللهُ عز وجل فيه كما قال الحبيب محمد صلَّى الله عليه وسلم أنه يعدو، يجري، فعدا الحجر بثوبه، فما كان من موسى إلا أن جرى خلف الحجر وهو يقول ثوبي حجر، ثوبي حجر، يعني إلى أين أنت ذاهب بثوبي أيها الحجر؟

فظل يجري موسى حتى مر في جريه في عدْوِه على جماعة على ملأ من بني إسرائيل فنظروا إليه وهو لا يقصد، نظروا إليه، وهذا فرق بين أن ينظر إليك أحد دون أن تشعر أو أن يتجسس عليك أحد فيرى شيئًا من عورتك هذا لا يعيبك ولكن يعيب المتجسس أو الناظر بغير حلم، فعدى خلف الحجر فمرَّ على ملأ من بني إسرائيل فنظروا إليه فإذا هو من أحسن الناس خِلقة وخَلقًا ومن أجمل الناس جلدًا لا عيب فيه وهكذا أنبياء الله ورسله مُبَرَّؤون من كل عيب.

فبرأه الله مما قالوا ونزل في ذلك قول الله تعالى:" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا" الأحزاب:٦٩

الوجيه هو صاحب المكانة، صاحب المنزلة، صاحب الوجاهة فموسى عند الله كان وجيهًا مُبَرَّأً من العيوب الخِلْقية والعيوب الخُلُقِيَة، وهكذا كل أنبياء الله ورسله، كل أنبياء الله ورسله فيهم هذه الوجاهة فيهم حسن الخَلْق والخِلْقَة والخُلُق، موسى قَدَّرَ الله عليه هذا وهذه آيةٌ وكرامةٌ ليرى بنو إسرائيل أنهم قد آذَوْ موسى، أنهم قد كذبوا في حق موسى، قد يقول قائل وهل يعقل يا شيخ أن الحجر الثابت الصخر يجري! أيعقل هذا!

لو كنا نتكلم عن أحوال البشر العادية فهذا لا يعقل، لكننا لو كنا نتكلم عن قدرة الله فالأرض جميعًا تدور، الأرض تدور:" وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" النمل:٨٨

فإذا أراد الله أن يُحَرِكَ ساكناً فعل وإذا أراد أن يُحَرِكَ الجماد تحرك وإذا أراد أن يُنْطِقَ الجماد أو الحيوان أو الصخر تكلم ونطق فالله قادر على كل شيء وقد قَدَّرَ الله هذا كرامةً لكليمه ونبيه ورسوله موسى.

لا يجوز إيذاء رسول الله أو أحد من أنبياء الله

يبقى سؤال آخر الحجر عدا بثوب موسى بتقدير الله عز وجل، فلماذا طفق موسى بالحجر ضربًا؟ لماذا ضربه؟ وهل الجماد يتعرض للعقوبة؟ وهل تؤثر فيه العقوبة؟ وهل ضربات عصى موسى ستؤثر في هذا الجماد في هذا الصخر؟ والجواب كما يقول العلماء لما فعل فِعْلَ المُكَلَّفْ أُنْزِلَ منزلة المُكَلَّفْ فعوقب كأنه مُكَلَّفْ، ورسول الله صلَّى الله عليه وسلم يقول وإن بالحجر نُدَبًا أي علامات من تأثير ضربات العصى علامات ثلاثة أو أربع أو أكثر أو أقل، الشاهد هنا أنه لا يجوز لأحد من المؤمنين أن يؤذي رسول الله أو أن يؤذي أحد من أنبياء الله ورسله، لا نفرق بين أحد منهم " لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ " البقرة:٢٨٥

عبد الله بن مسعود يروي لنا قصة.. قسَّم رسول الله صلَّى الله عليهم وسلم مالاً قسم قسمًا وكان هذا بعد الحديبية، فقام رجل وقال والله إن هذه لقسمة لا تُرْضِي الله، إنها قسمة لا يُرَادُ بها وجه الله فسمعه عبد الله بن مسعود فقال "والله لأُخْبِرَنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلم بما قلت"..

يقول عبد الله فأتيت رسول الله صلَّى الله عليه وسلم فأخبرته بما قال ذلك الرجل فتغير وجه رسول الله صلَّى الله عليه وسلم وظهر عليه الحزن فقال "رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر" صحيح البخاري

يقول عبد الله بن مسعود: "فقلت والله لا أخبرك بشيء يسوؤك أبدًا"

قد يكون إيذاء النبيّ بأن يُتَّهَمْ النبيّ، بل قد يكون إيذاء النبيّ بأن يُكَذَّبَ النبيّ، بل قد يكون إيذاء النبيّ بأن يُسْخَر ويُسْتَهْزَأ من النبيّ، والذين يؤذون رسول الله صلَّى الله عليه وسلم أو يؤذون أحدًا من رسل الله فإن هذا علامةٌ على نفاقهم، علامةٌ على ضعف إيمانهم وقلة إيمانهم، أو عدم الإيمان بالكلية.

والله يتولى الدفاع عن نبيه والدفاع عن رسوله:" إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا " الحج:٣٨

" إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ " غافر:٥١

أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يوفقنا لما يحب ويرضى، وصلِّ اللهم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه وشكر الله لكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تم بحمد الله

شاهدوا الدرس للنشر على النت في قسم تفريغ الدروس تفضلوا هنا:

http://forums.way2allah.com/forumdisplay.php?f=36